فى الاخلاق

الارادة وأثرها فى الحياة

كل منا له إربة فى الحياة ، يرى أن سعادته فى إدراكها : هذا طالب يروقه المنصب وأبهته ، وما يضفيه على صاحبه من عز وجاه ، فيتمنى أن يصير من كبار رجال الدولة . وذاك يود أن يكون صحفيا ، فى تحقيق هذا الرجاء استطارة اسمه ، وذيوع شهرته . وآخر قصارى أمله أن يكون طبيبا ، فى ذلك مع الثراء ولذة عمل الخير ، تقدير الناس وإكبارهم . . . إلى غير ذلك من مختلف الآمال والرغبات .

غير أنه ما أكثر الذين يقنعون بالأمانى والآمال ، ويتألون فى رجاء تحقيقها دون تعب أو نصب أمد الدهر ، وبعد أن يطول بهم الزمن ، يتلفتون فاذا آمالهم هباء ، وإذا ما يرجون سراب .

ليس بمثل هؤلاء الحالمين يتقدم العالم خطوة إلى الامام ، ولن يكتب لأحدهم شىء من النجاح إلا مصادفة . إنما النجاح فى الحياة ، النجاح الذى له خطره وأثره ، نصيب أولئك الذين يوازنون بين رغباتهم حتى تتغلب إحداها ، فيريدونها

والارادة رغبة امتحنها صاحبها ، وتعرف طريق الوصول اليها ، فصمم على تنفيذها . وإذا وصل المرء إلى مرحلة التصميم على ترجمة الارادة إلى العمل ، بعد التفكير العميق فى السبل وتذليلها ، هانت أمامه العقبات ، ونال مبتغاه بعد عناء قليل أو كثير .

لست أعنى بهذه الارادة التى تجرف أمامها كل صعب ، الارادة الضعيفة المترددة . بل أعنى بها الارادة الصحيحة القوية التى تعالمك من كلام المقداد بن عمر حين استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى غزوة بدر ، وقد بلغه خروج قريش ليمنعوا عيرهم ، إذ قال (يارسول الله امض لما أمرك الله به ... فوالله الذى يعنك بالحق لو سرت إلى برك الغماد - يعنى إلى مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه) وهى أيضا الارادة الحازمة التى لا يثنى صاحبها حتى يصل إلى ما يريد أو يبلغ عذرا ، والتى تتبينها من قول سعد بن معاذ فى هذه الحادثة أيضا (فامض يارسول الله لما أردت ، والذى بعثك بالحق ان استعرضت

بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن نلقى بنا عدونا غدا . إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينيك ، فسر على بركة الله)

هذه هى الارادة الحازمة ، التى تمضى بصاحبها قدما . ومن هنا كان رفض نابليون أن يسمع من محدثه كلمة «مستحيل» «أنا لا أستطيع» ، فكان إذا سمع ذلك يصيح به : «اعمل» «اجتهد» وبذلك كتب له النجاح .

والتاريخ شاهد على عدل على ما نقول . وإليك مثالا رائعا من مثل كثيرة يزخر بها ، وتفيض بها تراجم الأفذاذ الذين كتب لهم الخلود .

هذا أبو بكر الصديق ولى الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففوجىء بردة العرب ، إلا قريشا بمكة ، وثقيفا بالطائف : فريق تبع المتنبئين ، وارتد عن الدين كله ، وفريق منع الزكاة ، وحسبها إتاوة لا يطيقون بذلها ، وهم لم يألفوا الضيم ، وحديثو عهد بالكفر الذى أعفاهم من كل التكاليف لا الزكاة وحدها . فهم وإن كانوا قد رضوا بطاعة الرسول ، يرمون بامارة الصديق ، واسمع إلى شاعرهم يقول :

أطعنا رسول الله ما كان بيننا ... فيا لعباد الله ما لأبى بكر

أيورثنا بكرا إذا مات بعده ؟ ... وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

امتحن الله أبا بكر والمسلمين مبتدأ خلافته بهذه الخطوب التى تهد من عزم الجبابرة لكنه أبى ذلك الاباء كله ، وقال : (والله لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه)وصمم على حرب المرتدين جميعا حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

ترى هل الصديق يعتمد على أن يمده الله بالملائكة مسومين ؟ لا ، وإنما كان عماده إرادة قوية ، وعزما لا يلتوى ، حتى لقد كان يعاون المجاهدين بنفسه مع إبائهم عليه ذلك ؛ فقد روى الطبرى : أنهم قالوا له : ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك ، إنك إن تصب لم يكن للمسلمين نظام ، ومقامك أشد على العدو . فابعث رجلا ، فان أصيب أمرت بآخر . فقال : والله لا أفعل ، ولأواسينكم بنفسى .

وكان بعد هذا أن أرسل البعوث لمحاربة المرتدين ، فآتاهم الله جميعا النصر ، وخمدت تلك النار التى اندلعت فى جميع أنحاء جزيرة العرب قبل أن ينقضى عام على وفاة الرسول. وذلك كله بفضل أبى بكر رضى الله عنه وإرادته الحازمة ، وعزيمته القوية بمدد من الله وتأييده

محمد يوسف موسى
العالم الشرعى خريج تخصص الازهر